

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا
سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ
رَوَاهُ مُسْلِمٌ

البناء العلمي

البناء العلمي

المرحلة الثالثة

الفصل الدراسي الثاني

فضل الإسلام (١)

د. فهد بن سليمان الفهيد

الدرس التاسع



بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

□ {نشعر في هذه الحلقة -بإذن الله- من قول الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- في كتابه "فضل الإسلام": (باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٥-٦٧].

□ وقوله: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠].

□ وفيه حديث الخوارج وقد تقدم. وفيه أنه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «إِنْ آلَ أَبِي فَلَانٍ لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ إِنَّمَا أَوْلِيَايَ الْمُتَّقُونَ»، وفيه أيضاً عن أنس أن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذكر له أن بعض الصحابة قال: أما أنا فلا أكل اللحم، وقال الآخر: أما أنا فلا أتزوج النساء، وقال الآخر: أما أنا فأصوم ولا أفطر. فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَكُنِي أَقُومُ وَأَنَامُ وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ وَأَكُلُ اللَّحْمَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنِّي فَلَيْسَ مِنِّي». فتأمل! إذا كان

بعض الصحابة أراد التبطل للعبادة قيل فيه هذا الكلام الغليظ وسمي فعله رغوباً عن السنة فما ظنك بغير هذا من البدع؟ وما ظنك بغير الصحابة؟

- اليوم نقرأ باب "قول الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٥-٦٧].
- فطريقة الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- وطريقة أهل العلم غالباً في هذه التآليف يختصرون ذكر الآيات؛ لأن المسلم الذي يقرأ هذا الكتاب يعرف كتاب الله، فيرجع للآيات؛ فيُكمل الآيات، ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٦٥) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٦٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٥ - ٦٧].
- إذن؛ هذا الباب مبوّب على هذه الآية وما تضمّنته من معانٍ والنصوص التي دلّت على هذا المعنى، فإنه ذكر الآية التي بعدها وهي قوله: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠]، وذكر حديث الخوارج وما سيأتي.

◆ ما المراد بإتيان المصنف بهذه الآية في هذا الباب وفي هذا الكتاب؟

- نجد أن الله -عز وجل- يذم أهل الكتاب في انتسابهم إلى نبي الله الخليل -عليه الصلاة والسلام-، فيقول الله -عز وجل-: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ [آل عمران: ٦٥]، يعني: كيف تنتسبون إلى إبراهيم؟!
- والخطاب هنا لأهل الكتاب، وهم اليهود والنصارى، فاليهود يقولون: نحن نتبع إبراهيم، والنصارى يقولون: نحن نتبع إبراهيم؛ فأنكر الله -عز وجل- عليهم هذا وذمهم؛ لأن اليهود حصل منهم تبديل، وحصل منهم تغيير لما كانوا عليه، ولو كانوا على طريقة موسى -عليه الصلاة والسلام- ولم يغيروا ولم يبتدعوا ولم يُحدثوا الشرك والضلالات لكانوا على ملة موسى وملة إبراهيم؛ لأنّ ملة الأنبياء واحدة، ولكنهم غيَّروا وبدلوا، وكذلك النصارى غيَّروا وبدلوا، فهؤلاء كفرة اليهود وكفرة النصارى يتباهون أمام النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ويقولون: نحن أتباع إبراهيم حقاً ولست أنت يا محمد! وإبراهيم على طريقتنا، فنحن ننسب إليه وهو على طريقتنا؛ إذن إبراهيم راضٍ عنا!
- فقال الله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ٦٥]، يعني أنّ إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- ليس على ملّتكم؛ بل هو قبلكم، والتوراة الحقة التي هي كلام الله، والإنجيل الحق الذي هو كلام الله ولم يحدث فيه تغيير لم يُنزل إلا بعد إبراهيم، فانتسابكم إلى إبراهيم في غير محله وهو مخالفٌ للعقل، ولهذا قال: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٦٥) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ، فكيف تنسبون أنفسكم إلى نبي الله إبراهيم وأنتم لا علم عندكم ولا دليل عندكم ولا حجة عندكم!
- ثم قال الله -عز وجل- موضحاً طريقة إبراهيم وبرأته من الشرك الذي هم عليه: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]، فلم يكن إبراهيم الخليل على

طريقة اليهود الذين كفروا وغَيَّرُوا وبَدَّلُوا وقالوا: عزيز ابن الله، وقتلوا أنبياء الله، وادَّعوا في نبي الله المسيح ما ادَّعوا، ولم يكن نبي الله إبراهيم الخليل على طريقة النَّصَارَى الذين قالوا: إِنَّ المسيح ابن الله وأنه ثالث ثلاثة، وإنَّما كان إبراهيم حنيفاً مسلماً، يعني: مائل عن الشرك مقبل على التوحيد، مُتَّبِعاً من الشرك مُتَمَسِّكاً بالتوحيد داعياً إليه، وما كان من المشركين.

● وقوله هنا: ﴿مُسْلِمًا﴾ يعني: الإسلام بالمعنى العام، وهو الانقياد لله -عز وجل- وطاعته في كل وقت، فإذا أطاع الله -عز وجل- في كل وقت بما أمر وبما أوحى وبما أنزل في ذلك الوقت فهذا هو الانقياد وهذه هي الطاعة لله -عز وجل-.

● فالإسلام بالمعنى العام هو: الانقياد لله وطاعته، والالتزام بأمره فيما أوحى إلى رسله في ذلك الوقت، فنبى الله إبراهيم أطاع الله -عز وجل- واستقام على شرعه، فهو مسلم لله منقاد لله، نبي الله موسى وأتباعه المؤمنون حقاً أطاعوا الله -عز وجل- فهم مسلمون، منقادون لله، ومطيعون لله، وهكذا بقيَّة الأنبياء كلهم على الإسلام بالمعنى العام.

● إذن؛ الإسلام بالمعنى العام هو: الانقياد لله وطاعته في كل زمان بما أنزل وبما أوحى، ولما بعث الله محمداً -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وختم الله به الرسالات وصار هو النبي الخاتم، وأرسله إلى الناس كافة -الجن والإنس- فصار الإسلام بالمعنى العام وبالمعنى الخاص طاعته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والدخول في دينه والدخول في شرعه، فلا يحل لأحد سمع بالنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يقول إنه على طريقة الأنبياء السابقين؛ بل يجب عليه أن ينتقل إلى الإسلام الذي هو طاعة الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- واتباع الرسول محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فإن هذا هو الانقياد لله، وهذا هو الإسلام بالمعنى العام وبالمعنى الخاص.

◆ ما سبب احتجاج المؤلف بهذا؟

● أَنَّ بعض الضلال وبعض المبتدعة يحتجون بانتسابهم إلى الكبار من الأئمة أو الأنبياء، فكفرة اليهود والنصارى يحتجون على باطلهم وتكذيبهم وظلمهم ووقوعهم في الشرك ووقوعهم في الضلالات باتباعهم وانتسابهم لنبي الله إبراهيم، فينسبون كل ضلالتهم وشركهم وبدعهم وخرافاتهم إلى إبراهيم، فبرأه الله -عز وجل- من ذلك.

● ثم قال -رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠]).

● رغب عن؛ يعني: أعرض وترك مِلَّة إبراهيم.

● قال: ﴿مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾، أعظم السفه هو الشرك بالله وترك مُتَابَعَةِ الرُّسُل -عليهم الصلاة والسلام، ولا يصح أن نقول على الفلاسفة الكفرة المكذبين للرسول: إنهم عُقلاء أو حُكماء؛ بل هم أعظم السفهاء، قال -عز وجل: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾، وفي نفس السورة قال: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢].

● فالسفهاء: هم الذين عاندوا الرسول من كفره اليهود وغيرهم ومن شابههم من المنافقين الكافرين، فهؤلاء وقعوا في أعظم السفه، وهو الشرك بالله والكفر به والنفاق الأكبر، ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠]، فنبينا محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

وَسَلَّمَ- يُوَكِّدُ هذا المعنى ويقول في الصباح: «أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ وَكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِلَّةِ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»^١.

• إذن؛ هذه المسائل التي نصَّ عليها الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذكر من ضمنها قوله: «وَمِلَّةِ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»، فالحمد لله ما كان عليه نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هو الموافق حقًا لملة إبراهيم، وهذا يُبَيِّنُ لنا أَنَّ الدعوة إلى ما يُسَمَّى بالمِلَّةِ الإبراهيمية، وأن يكون هناك بيت عبادة لليهود، وبيت عبادة للنصارى، وبيت عبادة للمسلمين، ويقولون: لابدَّ من التسامح فيما بيننا، ولا بدَّ من المؤاخاة فيما بيننا!

• فهذا كلام باطل غير مقبول لا في شرع ولا في عقل، فاليهود مخالفون لمِلَّةِ إبراهيم، والنصارى مخالفون لمِلَّةِ إبراهيم، ومن وقع في الشرك ممن ينتسب إلى الإسلام أو وقع في التكذيب هو مخالف لمِلَّةِ إبراهيم، ولا يكون على مِلَّةِ إبراهيم إلا من كان حنيفًا لله تاركًا للشرك، مبغضًا له، متبرئًا منه، مقبلًا على التوحيد، متمسكًا بالدين.

• ويجب على المسلم أن يتبرأ من هذه الدعوات المضللة، الدعوات التي يقولون فيها: إنهم على ملة إبراهيم باتباعهم للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أمَّا إذا أقررنا اليهود وقلنا: إنهم على حق، أو أقررنا النصارى وقلنا: إنهم على حق؛ فهذا كفر بالله وخروج عن ملة الإسلام، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]، فلا يغتر المسلم بهذه الدعوات المضللة، ولا يغتر المسلم بهذه الدعايات الكاذبة، فهذه الأساليب كلها لا تسمن ولا تغني من جوع، فاليهود هم اليهود لن يتغيروا، والنصارى هم النصارى لن يتغيروا، ونحن في التعامل نقول: نتعامل معهم بمقتضى الأدلة الشرعية، فلا بأس بالبيع والشراء بين المعاهدين والمستأمنين وبين أهل الذمة وبين مَنْ أقاموا في بلادنا بإقامة تعتبر مثل العهد، فلا نتعامل معهم إلا بما أمر الله وأمر رسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نُراعي الأنظمة ونراعي العهود، ونحفظ الحقوق، لا نعتدي ولا نظلم، لا نسرق، وهكذا إذا ذهبنا إلى بلدانهم في غرض شرعيٍّ أو لحاجة فإننا نلتزم بأوامر الشريعة، أما أن نتنازل عن ديننا باسم التسامح فهذا ليس تسامحًا، وإنما التسامح هو أن نسامحهم في بعض الأمور كأن تزل به القدم أو أخطأ علينا حد، فنسامحه ترغيبًا له في الإسلام، فهذا لا بأس به، أما أن يكون التسامح بأن نقول له: أنت على حق، أو لا نتكلم في باطلك؛ فهذا غير صحيح، هو على غير الحق ما دام أنه لم يتبع الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فلا نتنازل عن هذا الأمر.

• ننتقل إلى النص الذي بعده، قال الشيخ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (وفيه حديث الخوارج وقد تقدم)، يقصد أنَّ الخوارج ينتسبون إلى الإسلام، وهم قد مرقوا من الإسلام، ينتسبون إلى الدين وهم قد مرقوا من الدين، ينتسبون إلى الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهم يُخالفون الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بل إن الرسول -

^١ أخرجه أحمد (١٥٤٠٤)، والدارمي (٢٦٨٨)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (٩٨٢٩) باختلاف يسير، صححه الألباني.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أمر بقتالهم، وهذا نستفيد منه أن أهل البدع وأهل الضلال وأهل الباطل ينتسبون إلى الدين حتَّى يروِّجوا إلى باطلهم، أو ينسبونه إلى الرسل، وهم كاذبون في هذا، وكذلك الخوارج.

□ قال -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (وفيه أنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء إنما أوليائي المتقون»).

• هذا حديث صحيح، والنبى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تكلم على جماعة من الناس في زمنه انتسبوا إلى النبى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقالوا: نحن أولياء للنبى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ونحن موافقون للنبى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في هذا الأمر، وكأنهم فعلوا شيئاً مخالفاً؛ فلم يسمهم النبى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إمَّا لأنهم منافقون عاندوا النبى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أو أنهم مسلمون ولكنهم غلطوا غلطاً، وبين النبى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لطمهم وتبرأ منهم، فقال: «إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء»، وهذا تبرؤ من النبى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مع أنهم كانوا يُظهرون النسبة إلى النبى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فهذا ممَّا يُزيِّن به الباطل، فتبرأ منهم النبى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقال: «إنما أوليائي المتقون».

• ونستخلص من هذه النصوص الشرعيَّة:

✓ أن الإنسان لا يغتر باتباعه عالماً صالحاً من أهل السنة إذا خالفه.

✓ أن لا يغتر الإنسان بقوم يدَّعون الانتساب إلى إمام أو إلى رجل صالح وعالم جليل، فالشيعة الذين يدَّعون حبَّ عليٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وينتسبون إليه يُخالفونه، ولهذا حرَّق غاليتهم بالنَّار، مع أن ابن عباس قال: أرى أن يُقتلوا بالسيف، فإنه لا يعذب بالنار إلا رب النار، وذكر الحديث.

□ ثم قال الشيخ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (وفيه أيضاً عن أنس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذكر له أن بعض الصحابة قال: أما أنا فلا أكل اللحم، وقال الآخر: أما أنا فأقوم ولا أنام، وقال الآخر: أما أنا فلا أتزوج النساء، وقال الآخر: أما أنا فأصوم ولا أفطر. فقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لكني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء وأكل اللحم، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»).

• هؤلاء نفر من الصحابة الذين جاؤوا إلى بيوت النبى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وسألوا عن عبادته فكأنهم تقالوها، عندهم نشاط وإقدام، وكانوا شباباً وأجسادهم قويَّة وكانوا مقبلين على العبادة ومحبين للدين ومحبين للرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولا نشك في هذا، فقالوا: إن ما يفعله النبى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من الصلاة والصيام -في ظنهم- قليل، فإن النبى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر، أمَّا نحن فلا!

• وهذا يُبين لك نزعة النفس البشريَّة، فإن هذه النزعات تأتي وتتجدَّد، فإذا وُجدت في مثل ذلك الزمن الفاضل وهو زمن النبى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وزمن الصحابة؛ فلا غرابة أن توجد في الأزمان المتأخرة وتكثر، فيعظم حذرنا من هذه الأشياء، وأننا لا نغتر بهم لأنهم من مريدي الخير.

- فقال الصحابي: النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يصوم ويفطر، أما أنا فسأصوم ولا أفطر. وقال الآخر: أما أنا فأقوم ولا أرقد. وقال الثالث: لا أتزوج النساء. وفي رواية قال فيها رابع: لا أكل اللحم!
- النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لم يقل لهم أنتم فيكم خير، ولم يدعهم يفعلون ذلك لأنهم يريدون العبادة؛ ولكنه أنكر أشد الإنكار.
- ثم قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي». انظر! واحد يقوم الليل كله ولا ينام يتبرأ منه الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-! واحد يصوم الأيام كلها ولا يفطر يتبرأ منه الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ويسميه "رغوباً عن السنة"، ودين الإسلام هو دين سماحة ويسر، ما فيه آصار ولا أغلال، وما تشديد والحمد لله رب العالمين.
- والنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دخل المسجد مرةً فرأى حبلاً ممدوداً في المسجد على سارية، فقال: ما هذا؟ فقالوا: هذا الحبل لفلانة تصلي في الليل فإذا فترت تعلقت به حتى لا تنام. فغضب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقال: «عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا»^٢.
- فأنكر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- التَّنَطُّعَ والتشديد على النفس والتكليف عليها بهذه الأمور، فوجب على جميع المسلمين أن يسلكون مسلك النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في الإنكار على مثل هذه الحالات التي قد تبدو.
- ثم ذكر الشيخ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- تعليقاً، وكما ذكرنا فيما سبق أنَّ الشيخ قد يعلق أحياناً بكلمات معدودة للتنبيه، قال -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- (فتأمل! إذا كان بعض الصحابة أراد التبتل للعبادة قيل فيه هذا الكلام الغليظ)، فهذا الصحابي أراد التبتل للعبادة، هو ما أراد أن يزني أو يسرق أو يقتل أو يشرب الخمر، بل أراد العبادة والزيادة فيها. قال -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: (قيل فيه هذا الكلام الغليظ وسمي فعله رغوباً عن السنة فما ظنك بغير هذا من البدع؟ وما ظنك بغير الصحابة؟).
- الجواب: أنه إذا كان غير هذا من البدع يكون الأمر أشد وأنكى، وإذا كان من غير الصحابة يكون الأمر أكثر وأعظم وأخطر، فلو جاء واحد وقال: هذا الضريح نتقرب إليه ونبي عليه مسجداً؛ فإن هذا يدخل في عموم قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»، فالنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما كان يبني المساجد على القبور.
- إذا وجدنا شخصاً يذهب إلى المقبرة ليصلي عند القبر أو عند المشد ويقول: هذه عبادة وأنا أتقرب إلى الله بهذا وأتبتل، فنقول له: «فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»، أنت تبرأ منك الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بهذا الفعل، إضافة إلى أنه من أسباب الشرك بالله -عز وجل-.

^٢ أخرجه البخاري (٥٨٦١)، ومسلم (٧٨٢).

- ومن هذا الباب أيضًا دعوة الناس إلى تعظيم القبور، أو دعوة الناس إلى التوسُّلات البدعية في الأدعية، أو دعوة الناس إلى أوراد، ورد الشيخ الفلاني...، ورد الطريقة الفلانية...، ورد الطريقة التيجانية...، نقول لهم قول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي».
- زيارة القبور تكون بالزيارة الشرعية لغرضين مشهورين ذكرهما النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
 - ★ **الأول:** الدعاء للأموات، وليس طلب الدعاء منهم، فنقول: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ»^٣، ونقول: اللهم اغفر لهم، اللهم ارحمهم، اللهم نور عليهم قبورهم.
 - ★ **الثاني:** الاتعاظ والعبرة، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، أَلَا فَزُورُوهَا، فَإِنَّهُ يَرِقُّ الْقَلْبُ، وَتَدْمَعُ الْعَيْنُ، وَتُذَكِّرُ الْآخِرَةَ. وَلَا تَقُولُوا هَجْرًا»^٤، يعني النياحة وغيرها.
- ولهذا حُرِّمَت الزيارة للنساء -على الصحيح- لأنهن لا يصبرن. وَلَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسُّرُجَ^٥. فهذا هو المقصود من الزيارة الشرعية.
- أما الزيارة البدعية فهي أن تُزار القبور لأجل أن يُعتقد أن الدعاء يُجاب عندها، أو أن الصلاة أفضل عندها، أو أن الصدقة أفضل عندها، ولهذا ننهى إخواننا المسلمين عن تحري الصدقة عند القبور، وبعض الناس الآن نراهم في بعض المقابر إذا جاء وقت الدفن جاؤوا بالمياه يوزعونها على المشيعين للجنائز! وهذا ليس من سنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولم يكن من فعل الصحابة، أمَّا مَنْ قال إنهم يوزعون المياه للحر، فالأولى أن يصبر هذا الوقت، أمَّا المضطر الذي يهلك من العطش فيذهب ويشرب في سيارته، أمَّا أن نوزع الصدقات ونقول: صدقة، صدقة، سبيل، سبيل؛ فهذه بدعة ولا شك، فنحذر إخواننا المسلمين من هذه البدعة، وقد صدرت فتوى للجنة الدائمة عام ١٤١٧هـ برئاسة الشيخ ابن باز أن هذا من البدعة، ولكن بعض الناس قد يتساهل ويقول هذا تشدد، والناس يعطشون! فنقول: لو كانوا في رمضان هل سيفطرون؟! فهذه حجة باطلة، فلا تتحرى الصدقات ولا تتحرى أي شيء إلا بدليل، معك دليل حيَّاكَ اللهُ وعلى العين والرأس، أمَّا لو لم يكن معك دليل فلا تقع في شيء من هذه الأمور.
- أما النوع الثالث من أنواع زيارات القبور فهو: الزيارة الشركية، وهي أخطرها، وهي زيارة القبور لأجل الطلب من الأموات والاستغاثة بهم، أو الذبح لهم، أو الطواف بأضرحتهم؛ فكل هذا باطل وليس من شريعة الإسلام في شيء، ويجب الحذر منه.
- ومن هذا المنطلق يجب على جميع المسلمين أن لا يغلوا في القبور، ولا تجوز الإهانة، فإنَّ الشريعة الإسلامية جاءت بتحريم الأمرين، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في حديث أبي مرثد الغنوي: «لَا تُصَلُّوا إِلَى الْقُبُورِ، وَلَا

^٣ أخرجه مسلم (٩٧٥)، والنسائي (٢٠٤٠)، وابن ماجه (١٥٤٧) واللفظ له، وأحمد (٢٢٩٨٥).

^٤ رواه الحاكم في المستدرک من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه (٧١١ / ١) برقم ١٤٣٣، وأصله في صحيح مسلم.

^٥ مسند أحمد (٤٧/٥)، وحسنه أحمد شاكر، سنن الترمذي (٣٢٠).

تَجْلِسُوا عَلَیْهَا»^٦، فقولہ «وَلَا تَجْلِسُوا عَلَیْهَا»، فیہ نہی عن إهانتہا، وقولہ «لَا تُصَلُّوا إِلَى الْقُبُورِ» فیہ النہی عن أن تُجل القبور قبلۃ للصلاة، لأن هذا سبب ووسيلة للشرك، فقد یقتدي بك بعض الجهال ویُشركون؛ فہكذا جاءت الشریعة الإسلامیة وسط واعتدال.

- وعلى كل حال؛ فہذا الباب انتهى، والمقصود منه: أن بعض الناس یروج الباطل إمّا بالكذب على إمام فینسب إلیہ قولاً، أو یقول: نحن أتباع لہذا الإمام وینسب إلیہ هذا الباطل، فیروج الباطل بہذا، وأهل السنة والجماعة وأهل القرآن عندهم نظراً واحداً صحیحاً، وهو اتباع النبی -صَلَّى اللہُ عَلَیْہِ وَسَلَّمَ- فهو القدوة، قال تعالی: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، ولا یُمكن أن یكون غیرہ هو القدوة الكاملة، فنحن نقتدي بالصحابۃ والتابعین وهو أئمتنا، ولكن الواحد منهم لیس بمعصوم وإن كانوا قدورة فی الجملة، فلو قُدِّر أن نُقل عن واحدٍ منهم خطأً أو شيء مخالف لآیة أو حدیث فلا تُرك الآیة والحدیث لأجل قول إمام أو عالم أو عابد.

وصلی اللہ علی نبینا محمد، وعلی آلہ وأصحابہ وأتباعہ، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.



^٦ صحيح مسلم (٩٧٢).